



تراثنا

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

السعر العُماني

تأليف

الدكتور محمد سعيد عبد الحليم

سلطنة عُمان

وزارة التراث القومي
المكتبة

الرقم العام : ٢١٠٢

الرقم الخاص : ٩١١

اعداد

محمد كامل

العدد ٦٤



کتابخانه ملی

جمهوری اسلامی ایران

کتابخانه

تذکره

کتابخانه ملی

کتابخانه ملی

کتابخانه ملی

کتابخانه ملی

کتابخانه ملی

کتابخانه ملی

القسم الأول

بواعث الشعر في عمان

كان الشعر دائما فن العرب الأول ، وديوان مفاخرهم ،
وسجل تاريخهم ، ومعرض إبداعهم .
وعمان بلد عربي عريق في أصلاته ، بل توفر له — بحمد
الله — هذا مجد تلبد متواصل بكيانه كما هو ، ويحق له
أن يباهى به عن جدارة . وأنا حين قرأت مقدمة القاضي سالم
ابن حمود بن شامس لكتابه « العنوان عن تاريخ عمان »
ورأيتة يقول : الحمد لله الذي جعل عمان من أعظم الأقطار
الإسلامية العامرة وجعل أهلها من العروبة في صميم الأمم
القحطانية والعدنانية الباهرة وقوله : وإني إذ أقول
ما أقوله عن عمان ، في هذا العنوان وغيره من البيان ، أقوله
تعبيرا عن الحقائق وتحريرا للوثائق — حين قرأت إذا قلت :
صدق القاضي حقا . وليحدث عن عراقية عمان ولا حرج وهي
عراقية مستمرة في كيان هذا البلد . فمن بين جميع البلدان
العربية المشرق العربي ، إذا تأملت منذ بدء الاسلام (حتى
دون الرجوع الى ما قبل ذلك) : أى البلاد قد احتفظ الى
يومنا هذا باسمه كما هو ، وبكيان قامت فيه دول متتابعة ،
فانك لن تجد إلا بلدين اثنين فقط : وهما عمان واليمن .

وهذا بعد تاريخي وحضاري عميق ، وخصوصا في أمة كالامة العربية • وسترى فيما بعد ، كيف يبرز أثر هذا في الشعر العماني • وعند العرب سارت العراقة جنبا الى جنب مع الشعر •

ومن يطلع على تاريخ عمان يدرك أن هذا البلد زاخر مع هذه العراقة — بالأحداث التاريخية ، وخصوصا ما يحرك قوى بواعث الشعر منها ، وهو الحرب والبلاد فيها •

ومنذ البدء أدرك نقاد العرب أثر البيئة في الشعر • وفسر ابن سلام الجمحي في (طبقاته) مثلا ، قلة الشعر في الطائف ومكة قبل الإسلام بقلّة الحروب « لأن الشعر إنما يكثر بالحروب كحرب الأوس والخزرج ، ولذا قل الشعر بين قريش إذ لم يكن بينهم ثائرة ، لم يحاربوا » •

كذلك فالى جانب العراقة ، ووفرة الأحداث المحركة للشعر ، قد توفر لأهل عمان حاسة هي ألزم الحواس لخلق الشعر والابداع فيه ، ألا وهي الحاسة الفنية •

فالذوق الفني لدى أهل عمان يدركه دون وهلة من يتصل بالعمانيين • وحين كنت أنظر في مكتبة كليتنا بلندن لفت نظري إعجاب المؤلفين الانجليز ممن كتبوا عن عمان بالذوق الفني

لأهلها • فمثلا في الكتاب الذي ألفه المستر دونالد هولى عن عمان ترجم الى العربية نجد وصفا طويلا لهذا عند حديثه عن الثقافة والتراث •

وقد لاحظ أن العمانيين مصممون بالفطرة ، فلا توجد آلة واحدة أو شغل يدوى إلا وجعلوا منه شيئا بديعا ، مضافين عليه طابعهم الخاص • ففي الخشب ، والفضة ، والذهب ، كما في الجص والطين ، أو القماش أو الخرز ، أو خيوط الذهب والفضة ، وفي إعمار المساكن ، أو بناء السفن ، وفي صناعة الآلات ، والحلى ، والأسلحة ، تجد القصة ذاتها : الاحساس بالتصميم هو الذى ينتصر » •

ومن الأوصاف المسهبة تدرك أن الشغف بالتصميم والولع والتزيين تبرز في كل ما يتناوله العماني ، يرضى بهما حاسته الفنية ، يبتغى أن يراها الآخرون •

فتزيين باب الدار مثلا عنوان أمام الناس على الدار ومن فيها وهو يخدم وعيا فنيا عاما في المجتمع • وأحب أن أصل القارئ أيضا على الوصف الرائع الذى كتبه ألن فيليز لسفينة عمانية في كتابه (أولاد السندباد) ، واقتبسه المستر هولى

القسم الثاني

مدى ما يعرفه غير العمانيين عن شعر عمان

فمع توفر هذه الدواعى كان المتوقع أن تنتشر خارج عمان مجموعة كبيرة من دواوين الشعر العماني والدراسات الأدبية حولها ، وأن يكون القراء العرب على علم بهذا الرافد العظيم من روافد الشعر العربي العام .

ومنذ أيام سألت ناقدا عربيا بارزا يكثر من الأسفار والاتصال بأدباء البلاد العربية ، عن رأيه في شعر عمان ، فأجاب بأنه للأسف لا يعرف عنه شيئا . ومنذ حوالي عشرين سنة فقط نشر سليمان وأحمد ابنا محمد السالمى ديوانى الستمالى والسلطان سليمان بن سليمان النبهانى كباكورة لتعريف القراء العرب بالشعر العماني .

وقد لاحظ النقاد من قبل تعصب بعض كبار الكتاب العرب في الماضي وانصرافهم عن الأدب الإباضى وخططهم بينه وبين ما كتبه الخوارج بفئاتهم المختلفة ، عن وهم وتحامل . فقد لوحظ مثلا تحامل أبى الفرج الاصبهاني مؤلف كتاب الأغاني ، وعدم اشارة ابن قتيبه وابن سلام الى شىء من ذلك الأدب .

وعوق هذا انتشار المعرفة بالأدب العماني • كذلك ذكر
ناشرا ديوان الستالى فى مقدمته أن الأدب العماني فى العصور
المتأخرة « كان مغلقا على نفسه شبه مجهول » فظل بمنأى عن
تناول القراء العرب •

ومن ناحية أخرى إذا نظرنا الى بعض مجموعات
المخطوطات فى عمان لا نجد تفسيراً شافياً للغز الذى تحدثنا
عنه من قبل •

ففى سنة ١٩٧٨ نشر زميلى الدكتور ركس سميث تقريراً
عن بعض المخطوطات التى اطلع عليها فى مسقط سنة ١٩٧٦
وكانت تحتوى على ١٤٣ مخطوطا • وبتحليلها نجد أنه كان
من بينها حوالى ١٠٠٠ مخطوط فى الفقه ، وليس هذا بغريب
فى بلد له تاريخ حافل فى الفقه الاباضى •

يلى ذلك مائة مخطوط ومخطوطان فى النحو واللغة
والقواميس ، ثم ٨٤ مخطوطا فى القرآن ، ثم ٧٧ مخطوطا فى
الشعر •

ونجد ٤٤ مخطوطا فى التاريخ والسير وليس هذا بغريب
أيضاً مع احساس العمانيين الشديد بالتاريخ والانساب

والعراقية ، ثم ٤١ مخطوطا في التفسير ومثلها في الحديث ثم
اعداد أقل في فروع المعرفة الأخرى •

لكن مخطوطات الشعر ، وعددها سبعة وسبعون كما
قلنا ، تسعة أعشارها لشعراء غير عمانيين وهذا على الأقل
يطلعنا على ما كان يقرؤه الناس في عمان • لكن لا يبقى إلا
سبعة مخطوطات لدواوين هي فيما يبدو لشعراء عمانيين •

فكيف نفسر قلة الموجود من الانتاج الشعري ؟

لقد اقترح البعض أن كثرة الحروب في الماضي ترتب
عليها ضياع كثير من الانتاج ؟ لكن إن صح هذا فكيف ضاع
أكثر الانتاج الشعري دون غيره ؟

ولقد أحسست من بعض العبارات التي جاءت في كتب
التاريخ والأدب تواضع بعض أدباء عمان — بسبب شعورهم
الديني القوي — فهم لا يريدون أن ينسبوا لأنفسهم أنهم
شعراء حتى وإن ظهرت لهم بعض النماذج الشعرية الجيدة ،
ولما لهم من الجهد والاستقامة والبعد عن الادعاء اتجهت
قريحتهم إلى الانتاج في ميادين أخرى كعلوم الدين والتاريخ •

لكني أعود فأقول إن الأدباء والدارسين العمانيين أنفسهم

هم الذين يستطيعون أن يفسروا لنا لغز قلة الوجود من الانتاج الشعري العماني مع كثرة الدواعي كما شرحنا من قبل •

ومهما يكن من شيء فان القراء العرب ينتظرون مزيدا من نشر المخطوطات •

وزيادة النشر كقيلة بأن تبرز للناس مزيدا من الشعر العماني الذي لا بد أنه موجود ، فالشعر خالد ، والدهر — كما قال القاضي الفاضل الأديب ووزير صلاح الدين — عاجز عن القضاء على الشعر •

ومن يقرأ كتاب (الفتح المبين في سيرة السادة أبو سعيدين) يجد في بعض الأمثلة شعراء يتحاثون على قول الشعر في مساجلات شعرية كانت تزيد إنتاج الشعر • ويجد أبياتا يذكرها صاحب الفتح المبين لشعراء ولا بد أنهم كتبوا غيرها مما لا يزال في المخطوطات •

كذلك لا يمكن أن نتصور أن الشعراء الذين نعرف لهم انتاجا كبيرا كانوا يعيشون في فراغ وحدهم ، والأقرب الى المعقول أنهم كانوا جزءا في حركة أدبية أوسع منهم •

ومنذ نيف وعشرين سنة فقط بدأت حركة النشر بخطى

القسم الثالث

الشعر العماني

أما حديثي اليوم فينبني على ما أتيح لى الاطلاع عليه من الشعر العماني وهو بالضرورة اطلاع محدود • فمصادر الشعر العماني غير موجودة في المكتبات في الغرب • وكان اطلاعى كما يلى :

أولاً — ديوانان مطبوعان كانت وزارة التراث القومي قد تفضلت فأرسلتهما الىّ وهما :

— ديوان أبى بكر أحمد بن سعيد الخروصى السطالى المتوفى سنة ٥٧٦ هـ ، والمطبوع سنة ١٩٦٤ م •

— ديوان السلطان سليمان بن سليمان النبهاني المتوفى سنة ٩١٥ هـ ، والمطبوع سنة ١٩٦٥ م •

ثانياً — ديوانان مخطوطان هما :

— ديوان سعيد بن محمد العشرى الخروصى الذى تم نسخه لابنه سنة ١١٩٣ هـ •

— ديوان سبايك اللجين احميد بن محمد بن رزيق المتوفى سنة ١٢٩١ هـ •

ثالثا — قصائد متفرقة في بعض كتب التاريخ التي استعرتها

من زميل انجليزى كان قد زار عمان • وذلك مثل :

— الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين لابن رزيق

والمطبوع سنة ١٩٧٧ •

— تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان للعلامة نور الدين

عبد الله بن حميد السالمى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ ،

والمطبوع سنة ١٩٧٤ •

وأحب أن أقول أن القصائد الموجودة في كتب التاريخ

هامة جدا ، وحبذا لو نشر كثير من هذه الكتب فى فى فى فى

ستتيح لنا ثروة وافرة من الشعر العماني ، أولا لأن العمانيين

لاحساسهم بالعراقة والبعد التاريخى الأصولهم قد كتبوا كثيرا

في التاريخ والسير والانساب • وثانيا لأن مثل هذه القصائد

موضوعة في سياقها التاريخى وترتبط عادة بأحداث هامة

وشعرها أخرى بأن يكون قويا •

كذلك اطلعت على مؤلفات العلامة أبى محمد عبد الله بن

حميد بن سلوم السالمى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ •

وسأتحدث في هذا المجال عن بعض السمات العامة للشعر

العماني فمن أوضح ما يواجه المطلع على هذا الشعر أن

العمانيين كانوا صادقين تماما مع أنفسهم ، سواء في الأغراض الشعرية التي طرعوها والأغراض التي تركوها ، وكذلك في المعاني التي تناولوها •

وهذه صفة فريدة في شعرهم إذا قارناه بشعر غيرهم من شعراء البلاد العربية • فتقاليد الشعر العربي — كما نعلم — قاهرة فرضت نفسها عبر العصور والأجيال على شعراء البلاد المختلفة فساروا فيما أملت عليه ، وإن لم يكن في بيتهم ما يبرره أو يستدعيه •

والمطلعون على النقد الأدبي في أوائل هذا القرن يذكرون مثلا ، أن الناقد عباس محمود العقاد كان يعيب على شوقي ومدرسته في الشعر أنهم كانوا يقلدون في مطالع القصائد وأغراضها ومعانيها وترتيب أبياتها تقاليد شعراء شبه الجزيرة قبل مئات السنين وإن لم يعيشوها أبدا في حياتهم الخاصة •

ولا نجد الشعر العماني الذي بين أيدينا قد طرق موضوعات الهجاء الشخصي ولا الأسفاف ولا الخمريات ولا الفحش والمجون • وكان الشعراء في هذا صادقين مع أنفسهم فقد نشأوا في بيئة دينية ورثت تقاليد (الشراة) التي تجافى ذلك ، وتلتزم الجد والاحتشام واللياقة ، وتتحرج من الاندفاع

وراء الله ، حتى ما كان منه فباحا بتقاليد الشعر في البلاد
العربية الأخرى •

ونحن نعلم أن (الشراة) كانوا ينفرون من المداح غير
الصادق الذي لا يهدف إلا الى التكبس بالشعر وقد قال قائلهم :

أيها المداح العباد ليعطى
إن الله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت إليهم
وارج فضل المقسم العواد

لا تقل في الجواد ما ليس فيه
وتسم البخيل باسم الجواد

وسنرى لمن المداح الذي نظم فيه شعراء عمان وبأى
الصفات كانوا يمدحون • وقد أكثروا أيضا في الفخر ووصف
المعارك الحربية والرياء • وكثير من رثائهم كان للقضاة والعلماء
والاخوان ونظموا في الغزل العفيف والتوجع وفي المدايح
النبوية والتوسل والتضرع الى الله والمواعظ والنصائح • ونجد
الى جانب ذلك قدراً كبيراً من نظم العلوم •

ومعاني الشعر لدى العمانيين تتميزهم تماماً بإخلاصهم

لمبادئهم ، وهى تطبع ما يقولون بطابع لا تخطئه العين • وأصدقكم القول انى عندما قرأت أول سطر من إنتاج عمانى رأيت وكان مقدمة شاعر لديوانه قلت على الفور : هذا كلام فقيه يابضى — لا لأن الرجل كان يتحدث فى الفقه أو فى الاباضية بل لأن الروح هية سارية فى صميم كلامه •

ولنتذكر هنا أن الشعر الذى نتحدث عنه هو من الفترة التى كان يطلق النقاد عليها « فترة التقليد » وكانوا يلاحظون ان كلام الشعراء فيها عام متشابه لا تحس فيه « شخصية » وتستطيع أن تنسبه لأى شاعر فى أى مكان عربى — فاذا اطلعنا على شعر عمانى له شخصية تميزه ويدركها القارئ بوضوح كان هذه ميزة هامة وكسبا للشعر العربى كله فى تلك الفترة •

قلنا سابقا إن عمان ضد تميز بأنه احتفظ من عصور طويلة باسمه كما هو ، وبكيان قاهت فيه دول متتابعة ، وأن لهذا قيمته التاريخية والحضارية فى تعميق الجذور والاحساس بالأصالة والعمق الحضارى ، خصوصا فى أمة كالأمة العربية ، وهذا يفسر لنا فترة الاهتمام بالتاريخ والأنساب لدى أهل عمان •

ونقول هنا انه يفسر أيضا أهمية أصالة النسب وعراقتهم فى قصائد المدح والفخر والثناء لدى شعراء عمان ، فهى نعمة

مستمرة لا تخطئها في أية قصيدة • وهذه الأغراض الشعرية أغراض عربية أصيلة ، وهي التي عمقت المثل والأخلاق العربية العريقة •

ولقد تغير الذوق لدى بعض شعراء ونقاد « التجديد » في كثير من البلاد العربية في الوقت الحاضر وأصبحت هذه الموضوعات لا تروق لهم لأنهم يرون أنها لا تليق بالشعر في عصرنا الحاضر • ولكن غاب عن هؤلاء قيمة قصائد المدح والفخر والثناء وأثرها كما قلنا في تعميق المثل العربية الأصيلة والخلال والصفات العريقة وما أصدق قول الشاعر العربي حين قال :

ولولا خلال سننكم الشعر ما درى بناء العلا من أين تؤتى
المكارم وقد سن الشعر العربي تلك الخلال بقصائد المدح
والفخر والثناء وغيرها • وطالما كانت تلك الخلال حميدة
فلا غبار على قصائد المدح والفخر والثناء من وجهة النظر
الدينية ، ولا جناح على الشاعر الصادق فيما ينظم منها بل ان
الشاعر الذي يحس بالدافع الى قرض الشعر في المديح والفخر
والثناء ثم يكتم احساسه لكي يتظاهر بأنه من « المجددين
التقدميين » هو كاذب بمقاييس الفن ، ومنافق مرء بمقاييس
الدين والأخلاق • والشعراء العمانيون كانوا صادقين حين

أحسوا بالدافع الى النظم في المدح والفخر والرثاء ونظموا فيها .

ومنذ عهد قديم أكد الشعراء العرب أهمية عراقة النسب في
تخليد صفات النبل والمجد والكرم وتتوارثها الأجيال وقال
زهير :

وما يكُ من خير أتوه فانما

توارثه آباء آبائهم قبلُ

وهل ينبت الخطيُّ إلا وشيجه

وتغرس إلا في منابتها النخل

وكما قلنا يردد شعراء عمان دائماً أهمية عراقة النسب :
نقرأ في (العنوان عن تاريخ عمان) : « لما توفي السلطان
فيصل جلس على عرش المملكة العمانية السيد تيمور بن فيصل
ابن تركي بن سعيد بن سلطان بن الامام أحمد أصيل هذه
الشجرة :

فاعتلى العرش نجله الليث تيمور » وتيمور ملتقى العلياء
وحفيد الملوك بطنا وظهرا وعظيم الخؤولة الشماء « وفي
(الفتح المبين) نقرأ في مدح السيد الهمام أحمد بن سعيد بن
الامام أحمد :

نجل الامام السيد المولى سعيد بن الامام القرم أحمد
ذى المنز البوسعيدى الكمى ومن له خضعت نزار وقد أطاعته
اليمن ينميه من قبل الخؤولة تبع فى الناس فخرا وهو ذو فخر
ومن • ويفتخر السلطان سليمان بن سليمان النبهانى فيقول :
من عيص هود الله دوحى التى من دون محتدها النجوم
الطالع • يقول :

ابن نبهان ابن عمرو بن كهلان سليل النبى ذوى الأفضال
ومؤلف كتاب (الفتح المبين) ينظم قصيدة يذكر فيها
نسب بنى خروصى فى أبيات طويلة يختتمها بقوله :
ويعرب قحطان أبوه وجده

لك الله ، هود وهو للعد تما

عليه وخير العالمين محمد
إله السما صلى عليه وساما

وفى قصيدة أخرى يتحدث عن نسايم ويختتم بقوله :

قالت نعم ، ولهم سيما بأوجههم
وهمة سمكت فى ساعة الباس

عرق الكرام لهم قد دس مكرمة
والعرق إن مر دهر أى دساس

ما في ندبهم لغو ولا هزل
إلا التلاوة من صدر وكراس

فمدح هؤلاء الشعراء صادق في التعبير عن عراقية الأصل
وعن الصفات الحميدة بمقاييس القيم العربية والإسلامية •

وفي المدح والفخر والثناء والوصف نجد نفس التركيز
على صفات البطولة والبلاء في الحرب •

والواقع أن صفة الشجاعة والبطولة والبلاء في الحرب
أتى في المقام الأول في مستوى القيم العربية •

وقد رأينا أن من أسباب التركيز على عراقية النسب أنها
تورث صفات الشجاعة والبطولة والاقترام • وفي القرن الرابع
الهجري لخص الناقد قدامة بن جعفر الصفات الأساسية للمدح
التي ينبغي على الشعراء أن يمدحوا بها فقال إنها العقل
والشجاعة والعدل والعفة • لكن الواقع أن أضمن سبيل لبلوغ
المجد والخلود في التاريخ العربي كله هو الشجاعة والبطولة
والدفاع عن الحمى •

وجاء الاسلام فرفع الجهاد في سبيل الله الى أعلى الدرجات ، والله يقول : « وفصل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة » وجعل النبي صلى الله عليه وسلم « ذروة سنام الاسلام (أى أعلى نقطة فيه) الجهاد » • ولهذا نال المعتصم بالله العباسي وسيف الدولة الحمداني وصلاح الدين الأيوبي درجة عليا من المجد وخلود الذكر •

وفي هذا المجال الفريد جاء دور عمان أيضا وتغنى شعراؤها فيه بأسهاب •

ونستطيع أن ندرك أن العماني له ولع بصفة الرجولة وشارات القوة ووسائل الدفاع والبلاء في القتال • وإلا فبماذا نفسر ما نقرؤه من أن الخنجر العماني هو الشارة المميزة للرجل للعماني ؟ ثم ذلك الشغف بصنع الخناجر في عمان وتزيينها والزهر بلبسها ؟

نقرأ أيضا أن العمانيين اعتادوا منذ أجيال عديدة أن ينظروا البنادق على أنها سلاح وزينة وهواية من الهوايات الممتعة ، وقد أصبحت البندقية نتيجة لذلك علامة من علامات الرجولة وشارة من شاراتها المميزة •

ويجب أن نتذكر أيضا كثرة الحصون والقلاع الضخمة والبروج المشيدة في عمان ، كثرة لانجدها في البلاد المجاورة . وهذا شاهد على أن توقع الهجوم ، وأن التحصين والاعداد للقتال وأن الدفاع والحروب قد ظلت من أهم ما يشغل هذا الشعب ويشكل حياته .

وأنا — كقارئ عربي — فرحت حين رأيت كتاب (تلقين الصبيان ما يلزم الانسان) لعبد الله بن حميد السالمي . فهذا كتاب للصبيان وانك لتعجب حين تطلع على ترتيب أبوابه . فالمؤلف يتحدث في مقاصد الكتاب عما يجب على الانسان من الاعتقاد ثم الصلاة ثم الصوم .

وقبل أن يتكلم عن الزكاة والحج يتحدث عن حقوق الوالدين والأولاد والرحم والجار والصاحب في السفر والصاحب في العلم وحقوق الضيف (قلت : أكرمكم الله يا أهل عمان إذ تعلمون صبيانكم هذه الحقوق) ثم يتكلم عن الزكاة والحج ثم — وهنا محل العجب — الجهاد .

وأرجو أن تعودوا من جديد الى قراءة التمرين الجميل الذي يتبع به المؤلف باب الجهاد . ويختتم ببيان ما يجب على الانسان تركه من عمل بدني وخلق نفساني . فهذا المنهج الدراسي في تلقين الصبيان له مغزاه العميق في ثقافة العمانيين ، ولم

نر الصبيان في البلاد العربية الأخرى يدرسون مثل هذا المنهاج .

واقرأوا ما شئتم من قصائد المدح والفخر في الشعر العماني تجدوا الحديث عن الشجاعة والبطولة والبلاء في الحرب يأتي في المقام الأول لدى المادح والممدوح والمفتخر والذين يسمعون قصائد المدح والفخر .

فمؤلف كتاب (العنوان عن تاريخ عمان) يتحدث عن حصار صحار في عهد الامام أحمد بن سعيد ، وبطولة الامام وآثار ذلك فيقول (ص ٣١٠) :

« فبنى ذلك من دولة أحمد بن سعيد أقوى البناء .

وماذا فعل أحمد بن سعيد ، الامام الجديد ، والسلطان الرشيد ، في الانتصاف لأهل عمان من عدوهم ؟ ... لقد رمى أحمد بن سعيد رمية فرقة بها العديد ، ومزق بها الجمع ، وشتت بها الشمل ، وقضى بها على العدو القضاء المبرم ، الذي لم يبق من قوته شيئاً . والى ما قلناه يشير شاعر الدولة البوسعيدية ، حيث يقول :

طوقت بالجيوش حصن صحار
تحت نثار المدافع الرغناء

وقف الشهم أحمد بن سعيد
وقفه الليث مفعما بالإباء

لم تزد الحروب إلا وقارا
فهو كالطود في عيون الرائي

قابل الخطب بالثبات وأبلى
في قتال الأعداء أى بلاء

قدرته عـمـان تقدير حق
وكذلك التقدير للأمناء »

وسعيد بن محمد العشرى يخاطب الامام أحمد بن سعيد
ابن أحمد البوسعيدى فيقول :

قل للامام بلغت المجد غايته
بوركت من سيد فى العالم البشر

الله أكبر إن الحق متضح
وحصص الحق للبادين والحضر

خاطرت بالنفس حتى إن رقيت
على هام الثريا وان المجد فى الخطر

ولجت باب العلا لما جعلت له
مفتاح البيض والخطية الأسمر

ويفتخر السلطان سليمان بن سليمان النبهاني فيقول :

وأروى السنان بن أغمد القرن

بهم القرون والأبطال

وإذا عقب الشجاع عن الفيلق

أو راعه بريق النضال

خضت آذيه بمنصات الخدين

خوض الغضنفر الرئبال

وله قصيدة طويلة في وصف الخيل وصفا رائعا • والخيل
من عدد البطولة ، وفي الحديث الشريف : « الخيل معقود
بنواصيها الخير الى يوم القيامة » • كذلك نجد في (تحفة
الأعيان) قصيدة طويلة اسمها « الخيلية » وهي طريفة تذكر
أسماء الخيول التي ملكها الامام سيف بن سلطان •

ويقول حميد بن محمد بن رزيق في ديوانه يمدح السيد
الوالى سعيد بن خلفان بن أحمد البوسعيدى :

السعيد امرؤا يرجى السعيدا
الندى أو وعى يشيب الوليدا

فهو غيث اذا الديار اضمطت
 واغتدى ربعا المروض بيذا
 وهو ليث اذا تزارت الأسد
 بحرب وفارق الهام جيذا
 عزمه في الهياج والقلب والسيف
 حديد به يغل الحديد

والعمانيون أيضا مولعون برواية قصص البطولة
 والشجاعة • ونجد حميد بن محمد بن زريق في (القصيدة
 القدسية النورانية في مناقب العدنانية) يروى بولع قصة
 المعتصم بالله وفتى العمورية سنة ٢٢٣ هـ فيقول : إن رجلا
 وقف على المعتصم فقال أمير المؤمنين ، كنت بعمورية فاذا
 جارية من أحسن النساء قد اطمها علج على وجهها (أى أحد
 نصارى الروم) فصاحت : وامعتصماه ! فقال المعتصم للرجل :
 عمورية في أى جهة ؟ فأشار الرجل على جهتها ، فرد المعتصم
 وجهه اليها وقال : لبيك أيتها الجارية ، هذا المعتصم قد أجابك •
 وسار في جيش من اثني عشر ألف فارس •

فبعثت اليه الروم أن المنجمين عندهم يجدون في كتبهم أن
 عمورية لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب •

ولكن المعتصم فتحها وقتل من جند الروم تسعين ألفا ،
كما جاء في قصيدة أبى تمام الذى ذكر هذا الحدث العظيم
في قصيدة هى من أروع قصائد الشعر العربى وفيها يقول :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
.....

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به
نظم من الشعر أو نثر من الخطب

فتح تفتح أبواب السماء له
وتبرز الأرض في أثوابها القشب

يا يوم وقعة عمورية انصرفت
عنك المنى حفا معسولة الحاب

.....
تدبير معتصم بالله منتقم

الله مرتعب في الله مرتقب
رعى بك الله برجيهما فهدهما

ولو رمى بك غير الله لم تصب

تسعون ألفا كآساد الشرى نصبت
 جلودهم قبل نضج التين والغلب
 خليفة الله جازنى الله سعيك عن
 جرثومة الدين والاسلام والحسب
 بصرت بالراحة الكبرى فلم نرها
 تنال إلا على جسر من التعب
 إن كان بين صروف الدهر من رحم
 موصولة أو ذمام غير منقضب
 فبين أيامك اللاتي نصرت بها
 وبين أيام بدر أقرب النسب
 أبقت بنى الأصفر المراض كاسهم
 صفر الوجوه وجلت أوجه العرب
 هذه القصيدة الخالدة قد ظلت مصدر إلهام الشعراء
 العرب وتردد صداها في الأحداث الكبرى •
 ولما توجه الناصر صلاح الدين لأخذ حلب من الصليبيين
 نزل على قرون حماة وأنشد القاضي الفاضل :
 هذى قرون حماة جئت تأخذها
 وإن إمساكها يفضى إلى حلب

مملكة العراق
وزارة التراث القومي
المكتبة

الرقم العام : ٢٨٠٠
الرقم الخاص : ٨/١١

— ٢٩ —

إلى :

لأكتب عن السلطان محتسبا
والسيف أصدق ما ينبئك عن كتيبي

وفي عصرنا كتب الشاعر العراقي بدر شاكر السياب قصيدة
عن بورسعيد إثر العدوان عليها سنة ١٩٥٦ ومن أبياتها قوله :

حييت من قلعة شق الفضاء بها
أس لها في صدور الفتية العرب

حييت فالوحش أوهى فيك مخالبه
يا غابة النار قد أثمرت بالغلب

ونجد لقصيدة عمورية الخالدة نظيرا في الشعر العماني
يمكن أن نسميه « قصيدة سقطرى » وهي في الجزء الأول من
(تحفة الأعيان) صفحة ١٦٧ — ١٦٨ ، حين تحدث المؤلف
عن عزان بن الصقر ، الذي مات سنة ثمان وستين ومائتين من
الهجرة وكان مسكنه بغلافقة من عقر نزوى ومات بصحار :

« وفي أيامه رضى الله عنه خانت النصارى ونقضوا ما
بينهم وبين المسلمين ، فهاجموا على سقطرى وقتلوا وإلى الامام
وفتية معه ، وسلبوا ونهبوا وأخذوا البلاد ... فكتبت امرأة

من سقطرى — يقال لها الزهراء — للامام تذكر له ما وقع من
النصارى ٠٠٠ وتستنصره عليهم فقالت :

قل للامام الذى ترجى فضائله

يا ابن الكرام ويا ابن السادة النجب

وابن الجحاجة الشم الذين هم

كانوا سناها وكانوا سادة العرب

أمت سقطرى من الاسلام مقفرة

بعد الشرائع والفرقان والكتب

وبعد حى حلال صار مغتبطا

فى ظل دولتهم بالمال والحسب

لم تبق فيها سنون المحل ناضرة

من الغصون ولا عودا من الرطب

واستبدلت بالهدى كفرا ومعصية

وبالآذان فواقيسا من الخشب

وبالذراوى رجالا لا خلاق لهم

من اللئام علوا بالقبر والغلب

جار النصارى على واليك وانتهبوا

من الحرير ولم يألوا من السلب

إذ غادروا قاسما في فتية نجب
عقوى مسامعهم في سبب خرب
مجدلين سراعا لا وساد لهم
للعاديات لسبع ضارء كلب
واخرجوا حرم الاسلام قاطبة
يهتفن بالويل والأعوال والكرب
قل للامام الذي ترجى فضائله
بان يغيث بنات الدين والحسب
كم من منعمة بكر وثيبة
من آل بيت كريم الجد والنسب
تدعو أباهما إذا ما العليج هم بها
وقد تلقف منها موضع اللب
وباشر العليج ما كانت تظن به
على الحلال بوافي المهر والقهب
وحل كل عراء من ملتهما
عن سوء لم تزل في حوزة الحجب
وعن فخوذ وسيقان مدملجة
وأجمع كعناقيد من العنب

قهرا بغير صداق لا ولا خطبت
إلا بضرب العوالى السمر والمقضب

أقول للعين والأجفان تسعدنى
يا عين جودى على الأحباب وانسكبى

ما بال صلت ينام الليل مغتبطا
وفى سقطرى حريم (خرع) النهب

يا للرجال ! أغيثوا كل مسلمة
ولو حبوتم على الأذقان والركب

حتى يعود عماد الدين منتصبا
ويهلك الله أهل الجور والريب

وتم يصبح دعى الزهراء صادقة
بعد الفسوق وتحبى سنة الكتب

ثم الصلاة على المختار سيدنا
خير البرية مأمون ومنتخب

فجمع الامام الجيوش وجهاز المراكب ، ويقال إنها كانت
مائة مركب فساروا الى سقطرى ونصرهم الله وأخذوا البلاد
وهزموا الأعداء .

وقد كتب الامام عهدا لجنده يعتبر من أروع وثائق الأدب الاسلامي ، ولكن يضيق بنا الوقت عن قراءته فليرجع اليه من شاء في الجزء الأول من (تحفة الأعيان) من صفحة ١٦٨ الى ١٨٣ .

فهذه ملحمة رائعة من ملاحم الشعب العماني المجيد ، ولا يعرفها القراء العرب — والواقع أن القارئ العربي يعجب حقا حين يطلع على انجازات هذا الشعب العماني العظيم وانتصاراته الباهرة ، فقد انتصرت عمان على جيوش أكثر من امبراطورية في الماضي .

ولم تنتصر على أرضها فقط ، بل انها مثالا لاحقت جيوش البرتغاليين في شرق افريقيا وهزمتهم هناك ، فكم من البلاد العربية قد حقق مثل هذا الانجاز ؟ ويحق للمرء أن يعجب كيف أمكن لعمان وهي ليست من البلاد الكبيرة أن تقوم بهذا ؟ إن شعبها شجاع قد أدرك معنى « إن تنصروا الله ينصركم » ومعنى « إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا ألفا من الذين كفروا » .

ولعمان وضع فريد أيضا في البلاد العربية بانجازها في عالم الملاحة في الماضي ، ومنها ملاح العرب الأشهر ابن ماجد .
(٣ م — الشعر العماني)

وإذا كان الجمل سفينة الصحراء العربية فإن عمان قد انطلقت
بسفنها البحرية وروحها الحرة العتيدة الى ما وراء البحار ،
وكان انتجازها مفخرة للعرب والمسلمين •

وأعود الى الشعر العمانى فأقول باختصار إن ديوان
الستالى قصيدة مدح طويلة على الطريقة التى شرحناها وديوان
السلطان سليمان قصيدة فخر طويلة يتخللها غزل أكتفى منه
بهذا المثال الرشيق :

رياء المخلخل والمسوّر غادة

جما المرافق لا تبين عظامها

غراء بارعة الجمال فريدة

صفرا الوثاح لطيفة أقدامها

شمسية قمرية رشئية

خوطية شف القلوب غرامها

أما ديوان سعيد بن محمد القشيري الخروصى فهو

ديوان عالم فقيه يكثر فيه من الوعظ والحث على الجهاد • به

ملحمة فى حوادث عمان ، ومسائل فقهية نظمها شعرا بأسلوبه

الطريف •

وأود هنا أن أشير مرة أخرى الى المنظومات المطولة
مثل (جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام) للعلامة
عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي •

فهذه تقليد تربوي انتشر في تراثنا العربي الاسلامي ،
والنظم فيه وسياة ذكية يقدمها المدرس لتلاميذه ليسهل
عليهم استيعاب مواد الدرس •

والنظم من أقرب الأشياء الى النفس العربية فكان أكبر
« وسائل الايضاح » في الماضي • وقد كتب لبعض المنظومات
في العلوم أن تخلد مثل (ألفية ابن مالك) التي طبعت
الدراسة النحوية وترتيب أبواب النحو منذ عهد ابن مالك الى
الوقت الحاضر ، وتخرجت بها عشرات الأجيال من المدارس •

قلت سابقا إن العمانيين قد أكثروا من نظم العلوم
فلهم ولع بالنظم وقدرة عليه • ولنذكر أن الخليل بن أحمد
كان في الأصل عمانيا ، وهو عبقرى اللغة العربية وواضع
علم العروض ، وقد ظل عروض الخليل ميزان النظم العربي
منذ اثنى عشر قرنا • وأسهم العمانيون باخلاص وبراعة في
نظم العلوم فصار هذا جزءا هاما من تراثهم •

ونعود الى ديوان القشيري فنقول ان من طريف العناوين فيه « تنبيه للتجار والأغنياء » وقد يصح توجيه هذا لرجال الأعمال في عصرنا • وقد نظم أيضا في الطب على طريقة ذلك العصر ، فنجد « دواء نافع للبلغم » و « دواء نافع للضرس » وهذه طرائف تطلعنا على الأمراض والأوجاع التي عانى الناس منها عندئذ •

ولابد أن أذكر لكم أيضا فتوى شعرية تذكرنا بما يدور في هذه الأيام التي يكثر الكلام فيها عن تحديد النسل في كثير من البلاد • وقد سئل الغشري عن حكم ما لو قام الناس بتحديد تام للنسل في البشر ، والحيوانات ، والنباتات ، فأجاب الغشري المفتي بأنهم إن فعلوا ذلك كانوا كفارا • (وواضح أنه يقصد كفر النعمة ، فقد طور فقهاء الاباضية ذلك التمييز الدقيق بين كفر الشرك وكفر النعمة) •

يقول الغشري :

ماذا تقول إذا البرية كلهم

تركوا الجماع : أيكفرون؟ فقل : نعم

وكذاك إن عزلوا الفحول

عن الإناث من النعم

وكذلك إن تركوا الزراعة كلهم
هم كافرون ، وخالفوا رب النعم

• صدق المفتي الظريف •

ونجد مقطوعة أيضا عن (تقوية الباه) • والمهم هنا
أن نتأمل عفة علمائنا وعدم تخرجهم من مناقشة الحلال ،
والفرق بين هذا المستوى الرفيع وما صار إليه الأمر في
الثقافة الغربية في العصر الحالى •

ولا يفوتنى أن أشير الى مقطوعة ظريفة عن عدد
الحلال في القرآن الذى يخبرنا الغشرى بأنه (٢٦٠٥) !
وقبل أن أترك الغشرى أقول كلمة ردا على من يعترض بان
هذا نظم وما هو من الشعر ، فأقول :

ان للشعيرى قصائد شعرية جيدة • وهو قد مات قبل
مائتى سنة ، ومستوى شعره لا يقل عن مستوى ما كان يكتبه
معاصروه فى مصر والعراق مثلا • ومن التعسف أن نحكم
على انتاج عصر بمقاييس عصر متأخر عنه كثيرا •

وسأذكر مثلا من قصيدة نظمها فى الرثاء • وقد كتب
الشعراء العمانيون كثيرا فى رثاء العلماء والزهاد ، فهو رثاء

قائم على عاطفة صادقة من الحب والتقدير وليس وراءه منفعة
سياسية أو مادية •

ونجد الغشري بعد أن يوفى حق الميت من الرثاء
والتقدير يخرج في القصيدة الى آفاق أرحب • ففي قصيدته
في رثاء الشيخ سعيد بن بشير يهيب بأهل عمان ، وكان جيش
العدو يتربص بهم ، فهو يقول :

لا رأى إلا أن تبيعوا أنفسا
وتجاهدوا للواحد المنان

وتشمروا عن ساقكم وتجردوا
لسيوفكم غضبا وكل سنان
وتؤججوا للحرب نارا حرها
ولهيبها يعلو على النيران

لا يستقيم الحق يوما بالمنى
إلا بحز غلاصم الشجعان
فمثل هذه الآفاق ترفع قصيدة الرثاء الى مستويات
أعلى • وكلنا يذكر دالية المعري الرائعة :

غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح باك ولا ترنم شهاد

وهي أصلا قصيدة في رثاء شخص ولكنها تجاوزت ذلك
وبقيت خلدة على مر الزمان •

قلت في مطلع الحديث إن شعراء عمان كانوا صادقين
مع أنفسهم ومخلصين لمبادئهم فيما طرquوه من أغراض وما
تناولوه من معان ولا يتسع الوقت لدراسة الناحية الفنية في
شعرهم ، فأكتفى بأن أضرب مثلا أو اثنين :

لنتأمل هذا التشخيص الجميل في قول حميد بن
محمد بن رزيق :

يا ابن الأمجد لا زال الزمان بكم
جدلان يرفل في أثوابه القشب

فما تباح صبح من شـمائلكم
إلا وقلت له : أهلا ، فداك أبي !

ونجد دقة الاقتباس من القرآن والحديث بسبب
الثقافة الدينية القوية في عمان • فمثلا : (فما معاقلم عنه
بمانعة) أخذ من قوله تعالى « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم
من الله » وقد مر بنا مثال « العرق دساس » أخذا من
الحديث الشريف • ونجد الموازنة في مثل :

فهو غيث اذا الديار اضمحلت
واغتدى ربعها المروهن بيـدا

وهو ليث اذا تزارت الأسـد
بحرب وفارق الهام جيـدا

ويبدو أنه كان من تقاليد الشعراء العمانيين أن يبدأوا
دواوينهم بمقدمات ، كما فعل الغشـرى ، وكما نجد عند ابن رزيق
الذى يقول بعد التسمية : « هذا الديوان المسمى (سبايك
اللجين) وهو قررة العين نظم الفقير وتأليفه ، محرره بيده
الفانية وهو حميد بن محمد ليعلم الواقف بذلك
والحمد لله رب العالمين » .

ثم يبدأ خطبه فى ثلاث صفحات . فهذا الشاعر المتواضع
عندما ذكر نفسه بأنه يحرر ديوانه بيده الفانية كان لديه
احساس عميق بالزمن وامتداده وهو يذكر نفسه بقيمة أخلاقية
وانسانية طيبة . وأنا أشهد ، بما رأيت من المخطوط ، أن يده
الفانية كانت ذات خط بديع وقدرة على التنسيق الجميل .

وكان رجلا دقيقا يذكر فى عنوان القصيدة مناسبتها وعدد
أبياتها والبحر الذى نظمت فيه والسنة التى كتبت فيها .
وقد رأيت الديوان مطبوعا من يومين دون أن يذكر من

« حققه » حتى القرن الذى عاش فيه ابن رزيق ! فرحم الله ابن رزيق الفنان الدقيق •

واستكمالا للحديث فى النواحي الفنية أود أن نتأمل الاستقصاء والوفرة فى قول ابن رزيق :

عزمه فى الهياج والسيف والقلب
حديد به يغل الحديد

قد يقال : لكن فى شعرهم مبالغات وحلى لفظية من جناس وغيره •

فأقول : هذا صحيح ، لكن ليس كل جناس معيبا ، ثم يجب أن لا ننسى الزمن الذين كانوا يكتبون فيه • فهم لا يقلون عن معاصريهم من شعراء البلاد العربية •

ويبقى لشعراء عمان — بعد ذلك — صدقهم وإخلاصهم لمبادئهم ، وتبقى المعانى القوية والروح العتيقة لهذا البلد الطيب ، تلك الروح التى كانت الباعث ، الأول والموجه لما حققه العمانيون من مجد وفخر •

وطبيعى أن ما ذكرته فى حديثى لا يعدو — بحكم الظروف التى شرحتها — أن يكون ملاحظات وانطباعات •

أما الدراسة العميقة الشاملة فلا بد لها من جمع التراث وتصنيفه وتوثيقه وتحقيقه ونشره على الدارسين في عمان وخارج عمان •

ولقد سرني أن وجدت عندما جئت الى مسقط أن وزارة التراث القومي قد طبعت دواوين جديدة • وقد تفضلت باهدائي عدة دواوين وكتب من منشوراتها • وأود بعد زيارتي هذه أن أقرأ تلك الدواوين • وأنا أتطلع الى أن أجد فيها نماذج من الشعر نرى فيها ما تتميز به عمان •

فلعمان وضع فريد بين بلاد العالم العربي جميعا لأنها تقع في نقطة الالتقاء بين البلاد العربية وشبه القارة الهندية وأفريقيا ، فقد أتيج لها في الماضي من الاتصال الجغرافي والثقافي الخاص ما لا بد أنه طبع العمانيين بطابع مميز •

أريد أن أتبين أثر البحر والأسفار في الشعر العماني ، وأريد أن أتبين في شعر الذين سافروا جنيينهم الى وطنهم عمان •

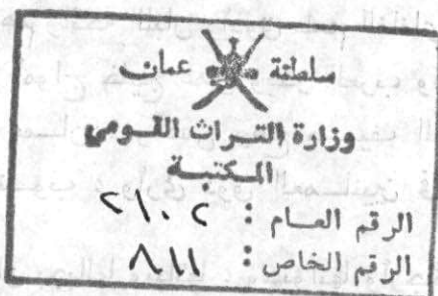
أريد أن أتبين في شعر الشعراء المعاصرين وصف الجبال العمانية ، وأن أستمتع بكثير من الشعر الذي تتجلى فيه سمة الساحة في النفس العمانية ، تلك السمة التي أشاد بها

الأجانب كثيرا ، وأن أتبين ما تتميز به عمان من حيوانات ونباتات ، وأن نرى سموق النارجيل وشموخ الجبال ، وأن أشم في شعرهم رائحة اللبان وأذوق طعم الفافاي والروبيان • وأسمع هدير أمواج خليج عمان وبحر العرب وأحس تكسرها على سواحل عمان ، وأحس وهج صيف الشمال ووداعة خريف الجنوب ، وأرى ذوق العمانيين في الألوان •

وفي عمان بجبالها ونباتها ، وحيوانها وأرجائها ، وربوعها وكل خيراتها معارض ألوان باهرة هي من نعم الله السنية ، وفي الألوان مظاهر لإبداعه سبحانه كما نقرأ في هذه الآية الكريمة من سورة (فاطر) وهي تعرض إبداع الخالق في تنويع ألوان الثمرات والجبال والبشر والحيوان :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك » •

« صدق الله العظيم »



مطابع سجل العرب